الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ فى الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٤٩ | ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — أول فبراير سنة ١٩٣٩ | السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
٥٨	صوفية جديدة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ دريني خشبة ...
٦٩	النافذة المفتوحة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٧٢	الأراجوز الحزين	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب نجيب محفوظ ...
٧٩	غزوة الجزائر البريطانية ...	للكاتب الانجليزى أرثر كونان دويل	بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة ...
٨٥	الأب الثاكل	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٩٢	مذ هبط من سمائه	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب محمد طه الحاجرى
٩٧	حامى يابا أصفهانى	للكاتب الانجليزى « جيمز موير »	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوفية جديدة

أقصوصة مصرية
بقلم الأستاذ دريني خشبة

— آه يا صديق الشيخ عبد القوى لو رأيتهن مرة واحدة ! مرة واحدة يا صديق الشيخ عبد القوي ثم تنسى هذه الصوفية وذاك التقشف !

— ذاك لأنى إن فعلت ألقى بزمامى للشياطين أمثالك !

— أتستطيع أن تحدس لم خلق الله النساء ؟

— خلقهن لعمار هذه الدنيا يا صالح !

— ولم خلقهن جميلات رائعات فاتنات ؟

— ليبلو عباده ، فمن سلم منهن سلم فى دينه ودنياه ، ومن أغوينه خسر الدنيا والآخرة

— إذن أنتم يا معاشر المتصوفة تزعمون أن الله خلق الجمال للغواية !

— ليس الجمال كله ... أرجوك !

— جمال النساء فحسب !

— وليس جمال النساء كله !

— جزء من جمالهن فقط ؟

— هو ذاك

— وهذا الجزء ، أأكثر الجمال هو أم أقله ؟

— أكثر جمال الظاهر

— جمال الظاهر ؟

— أجل ...

— لست أفهم ! جمال الظاهر كأى شىء ؟

— كالسحر الذى ملأ به عيونهن ، وحمرة الورد التى موّه بها خدودهن

— وكأى شىء أيضاً ؟

— القوام الرشيق !

— وماذا أيضاً ؟

— والسيقان الخدلجة والأذرع التى تكاد تنعقد من لين وطراوة ؟

— ثم ماذا يا شيخ عبد القوى ؟

— أسكت لحاك الله ... وماذا بعد هذا ؟

— بعد هذا ما بعده يا شيخ عبد القوى . . . أيها الصديق الصوفى !

— معاذ الله أن أكون قد ضللت !

— أنت . ومن زعم لك أنك ضللت ؟

— حسبتك ظننت هذا !

— كلا أيها الصديق . . . لكنى أطمع فى أن تكلمنى بأصرح مما قلت . . . أفى الحق أن الله قد خلق أكثر جمال الظاهر كما تزعمون فتنة لعباده المتقين !

— أنا أعتقد هذا

— إذن أنتم تؤمنون أن الله يريد الفتنة ؟

— معاذ الله أن يريد شراً بالعباد !

— أليس قد خلق أكثر جمال الظاهر فتنة لنا ؟

— هو بلاء فحسب !

— إذن نحن مخيرون

— الله خلقنا وما نصنع ؟!

— من خير أو شر !

— قل كل من عند الله !

— هذا هو الذى لا تفهمونه من كلام الله ... لنترك هذا ... وجمال الباطن ، ماذا تقصدون به ؟

— جمال الروح

— وكيف تكون الروح جميلة ؟

— الروح التى تفزع من الاثم

— هذا هو الجانب السلبى ...

— وتصدر عنها المكرمات

— أحسنت ! والروح التى تفزع من الاثم ، هل تحسبونها تفزع من جمال المرأة ؟

— قل جمالها الظاهر أرجوك ! أجل ، إنها تفزع من هذا الجمال الخبيث فزعاً شديداً

— ألا تتفق معى أن مثل هذه الروح تكون روحاً شريرة ناقصة ؟

— ولماذا تكون كذلك ؟

— لأنها كلما رأت جمال المرأة الظاهر نفرت وقرنته بالشر ؛ ولو أنها قرنته بالخير ، وبحمد الله الذى خلقه ، لكان خيراً لها وأكثر إيماناً بالله !

— .. ؟ ...

— أراك لا تستطيع أن تتكلم ، وأنت تريد أن تفعل ؟ !

— ولماذا هذا الحوار الطويل عن المرأة ، ألا يوجد فى الدنيا غيرها ؟

— بل يوجد غيرها كثير ... فلم تريدنى أن أناقشك ؟

— أنا لم أعترض على مخلوقات الله مثلك ، فتكلم أنت !

— وهل حسبتنى اعترضت على مخلوقات الله يا صديق ؟

— وهل تريد أن تنكر ذلك ؟

— إنى أنكره لأنى لم أفعله !

— ألم تعترض على الصوفية والمتصوفة ؟

— لقد سألتك عن أشياء فلم تستطع أن تقرع حجتى ، أفيكون ذلك اعتراضاً منى ؟

— إننا يا صديق قد طلقنا هذه الدنيا ثلاثاً ، ونحن أحرار نصنع ما نشاء

— وكيف تطلقونها وقد اعترفت أن الله أراد عمارها ؟

— أنا اعترفت بهذا !

— ألم تعترف ؟

— أبدا ، أبدا ...

— إذن يريد الله خراب الدنيا !

— أليست الساعة ستقوم ؟

— سوف تقوم ما فى ذلك ريب !

— أليس فى قيامها خراب الدنيا ؟

— إنها تكون قد انتهت إلى الأجل الذى أجلها الله إليه ، وإلى أن يجيء سوف تظل عامرة جميلة ناضرة !

— آه من عمارها وجمالها ونضرتها !

— وما عليك من ذاك ياعبد القوى ؟

— طوبى لمن يخلع عنه بردها الزائف ياصالح !

— وكيف يخلع بردها ولماذا ؟

— إنها دار الغرور ياأخى !

— أنا أسألك كيف يخلع المرء بردها ولماذا يخلعه ؟

— تخلعه هكذا ... إلبس كما ألبس أنا ... ذاك الصوف الخشن وتلك النعل المخصومة ، وهذا الطربوش الذى ليس له زر ...و...

— وماذا أبغى ياعبد القوى ؟

— وترسل لحيتك وشعر رأسك حتى تكون لك وفرة ولمة وذوائب

— ثم ماذا ؟

— وتكون لك سبحة كبيرة ومكحلة

— ولماذا المكحلة ؟

— لا تكون صوفيا إلا بها !

— لقد جعلت المكحلة للتجمل والزينة ، أليس كذلك ياصديقى الشيخ ؟

— كلا ... كلا ... إنها تقاليد ياصالح !

— لا ... لا بد أن تفسر لى اتخاذكم المكحلة وتشبثكم بها !

— وهل ذلك فى استطاعة أحد ؟

— ليس فى استطاعة أحد أن يفسر اتخاذكم المكحلة ؟

— هذا محال ياصديق !

— ولماذا يكون محالا ؟

— مثل المكحلة مثل هذه العذبة التى ترى !

— لقد كدت أسألك عن أمر هذه العذبة لماذا ترسلونها على أقفيتكم هكذا ؟

— هى أيضاً من تقاليدنا معاشر المتصوفة

— ما أحسبها إلا من بقايا الوثنية التى تندس فى طبائع الناس دون أن يشعروا ...

— وثنية ! نحن لسنا وثنيين ياصديق !

— ومن قال إنكم وثنيون يا عبد القوى !

— وما بقايا الوثنية التى اندست فى طبائعنا إذن ؟

— هذه المكحلة التى تأخذون بها أنفسكم وتلك العذبة ، والنعل المخصوفة

— وماذا ضرك من ذاك ؟

— ما ضر الدنيا من عبادة الأصنام !

• • •

انصرف صالح لشأنه ، وأقام عبد القوى ، أو الشيخ عبد القوى زعيم متصوفة القرية ، يفكر فى هذا الحديث الطويل الذى جرى بينه وبين صديقه عن ظاهر الجمال وباطنه ، وعن المرأة من وجهة نظر المتصوفة ، وعن الدنيا ... والتقشف ... والشعر المرسل واللبس الخشن ... والنعل المخصوفة ... ثم هذه المكحلة وتلك العذبة التى هى فضل منديل العمامة ...

ولكنه كان يعود من كل أفكاره إلى التفكر فى المرأة ، فما كانت أفكاره فيما عداها إلا كما يخطف البرق

لقد نعى عليه صالح أن المتصوفة يعدون المرأة عدوهم الأكبر لأنهم يزعمون أن للشياطين تتخذ من مفاتنها سوماً تصيد فرائسها ... وصالح يقول إن هذا زعم خاطئ ، لأنه يقرن جمال المرأة بالشر ، ولو قرنوه بالخير لكان أصلح لأرواح الناس ، ولقربت الدنيا أن تكون جنة ، ولهربت الأبالسة من حياتنا ...

فكرة طيبة ، وهى أقرب إلى حكمة الله من هذا النظر الأسود إلى أحسن مخلوقاته التى اختصها بالجمال ، واستودعها الرقة والعذوبة والطلاوة والسحر

ووقر فى قلب الشيخ أنه لم يستطع أن يدفع حجة صديقه صالح فى فساد رأى المتصوفة فى المرأة .. وكان عجزه ذاك أول إحساسه الخفى بالهزيمة ، وقد رأى بعينى تصوره كيف أخذت هذه القصور العجيبة التى شادها الوهم فى وجدانه الصوفى تنهار وتتقض وتتحطم وتصير ركاما

وأن بعد ذلك شيخاً من أجل مشايخ الطرق فما همّ أن أثار المسألة بحذافيرها ... وكان قد نسي الوقار الذي لم يكن منه بد في تناول هذه المسائل ، والتي يزعم المتصوفة أن الخوض فيها كالخوض في حديث القضاء والقدر ، لا بد فيه من الاحتراز والاحتراس إن لم يفضل فيه التسليم كل التسليم

ولحظ الشيخ الجليل في محدثه هذا التبدل الذي يخرج بالصوفي عن أصول المذهب ، فشده أول الأمر ... ثم علم أنه الشيطان قاتله الله قد استطاع أن ينفذ إلى قلبه ، وأن يسيل من هناك على لسانه ، فقال له :

— أي حبيبي عبد القوى ، ماذا دهاك ؟ إنك تتحدث بما لم نعهده فيك !

— عمرك الله مادهاني شئ ... إنما هو حديث جرى بيني وبين صديقي صالح ، لم أستطع أن أرد عليه شيئاً مما قال

— لا بد أنه كلمك في المرأة وفي الدنيا وفي الذي نحاربهما به من الجفوة والتقشف !

— أوه ! ... لقد حصل كل هذا ، فهل حدثك مثل ذاك الحديث ؟

— كلا ولكني فهمت ذلك من سياق حديثك

— وماذا ترى إذن في الذي حدث ؟

— أرى أنه حق يؤدي إلى باطل

— حق يؤدي إلى باطل ؟

— أجل يا أخي !

— وكيف أيها السيد ؟

— أتسألني كيف ؟

— إي والله إني أسألك

— قل لي أولا ماذا حل من حديثه في قلبك !

— حل من حديثه في قلبي أنه يعيرني بأننا معاشر المتصوفة نقرن نظرنا إلى ما ظهر من جمال المرأة بالشر ، ولو أننا قرنا هذه النظرة بالخير لكان خيراً لأرواحنا ، واطردنا الأبالسة من حياتنا وبذلك تصبح الدنيا جنتنا الأولى ...

— كلام جميل ، بيد أنه خُلب ... أو ... معسول !

— أما إنه جميل فهذا رأيي فيه ... ولست أدرى كيف يكون خلباً

— إن الذي قال صالح هو ما تقول يا أخي

— نحن نقول بالذي يقول به صالح أيها الشيخ

— هو هو !

— هذا عجيب !

— وما عجبه ؟

— وأي خير نقرن به جمال المرأة ؟ ألم تخلق عدة للشيطان ؟

— معاذ الله أن يكون ذلك ؟

— إنك تحيرني يا سيدي الشيخ !

— وكيف ؟

— أليس أول ما يأخذ به الصوفي نفسه هو الحذر من المرأة ومن الدنيا ؟

— هذا حق !

— إذن فلم تمقت ما ظهر من جمال المرأة ؟

— نحن لا نمقت جمالها ما ظهر منه وما بطن !

— يا سيدي وأنت مع ذاك كبير من مشايخ الصوفية ؟ !

— بل أنا أكبر مشايخها قاطبة ! ! إسمع يا عبد القوى ، إننا معاشر المتصوفة نحب الجمال ونهيم به ونفنى فيه ، وجمال المرأة هو أبرز صورة من

جمال الدنيا ... لكن نظرتنا إلى جمالها غير نظرة سوانا من الناس ... إن الناس ينظرون إلي المرأة بعين تتقد شهوة وفسوقاً ، أما نحن فننظر إليها لنمجد الله ونقدس أسماءه . ونحن حين نخشى المرأة لا نخشاها لأنها عدوة لنا ، بل نخشى أن نفتتن ونزل ونقع فى حبائل الشيطان الذي أقسم لربنا أن يقعد لعباده طريقهم المستقيم ... فنحن نستعيذ بالله من الشيطان إذا وقع بصرنا على المرأة ، ليس لأنها عدوة لنا ولكن لأن الشيطان هو عدو لنا ... ونحن نظلم المرأة كما نظلم الدنيا التى نملأها بالمفاسد والمعاصي ، ولو عقل بنو آدم لملأوها بالطاعات والخيرات فتكون جنتهم الأولى كما زعم لك صديقك صالح ... ولكن ...

— ولكن ماذا يا سيدى الشيخ !

— ولكن ... لى معك كلمة بعد الذى قلته لك !

— تفضل !

— أتستطيع يا عبد القوي إذا أنت نظرت إلى المرأة — غير عاق طبعاً — أن تجعل نظرتك للخير لا للشر ؟

— وكيف لا أستطيع ؟

— هذا ما أشك فيه !

— وهل تستطيع أنت يا شيخنا الجليل !

— أنا دائماً أجاهد نفسى

— ولماذا لا أجاهد نفسى أنا أيضاً ؟

— هنا تتفاوت نفوس الصالحين ... ولذلك قلت لك إن كلمة صالح حق يؤدى إلى باطل يا صديقى !

— وكيف أيها الشيخ ؟

— لأننا لا نستطيع دائماً أن نقرن نظرتنا إلى المرأة بالخير ... هذه مرتبة الملائكة التى أعيت أكثر البشر

— لذلك ...

— لذلك ينبغى أن نحارب في نفوسنا الحياء بالمرأة ...

— ولذلك ...

— ولذلك أرسلنا شعورنا وأعفينا لحانا وآثرنا لبوس الصوف الخشن والنعل المخصوفة والمندام الجافى ...

— ليتك جادلت صالحاً ... ليتك جادلت صالحاً

* * *

لم يعد عبد القوى هذا الرجل المتصوف المتقشف الزاهد بعد ... لقد تبدلت حاله ، وصار كلما تذكر المكحلة والنعل المخصوفة والسبحة والوفرة والذوائب يلعن هذه الأيام التى حرم نفسه فيها من مباهج الحياة

لقد شك أول الأمر فى قيمة هذه الأسلحة التى يتخذها المتصوفة ليظهروا فى ذلك المظهر الخشن الجافى بحجة أن هذه أحسن وسيلة لاذلال النفس وقهر الشيطان ... وعجب لماذا لا تكون الأناقة والمظهر المحتشم والنظافة معواناً للمرء على ضبط النفس واكتمال أدبها ...

— لا ... لن تكون لي هذه اللحية الكثة ، ولا ذاك المظهر الزري ... لتذهب المكحلة والسبحة إلى الشيطان ... لماذا أعد صلواتى وتسبيحاتى ؟ أأفعل ذلك لأحاسب ربى ؟ أم أتخذ السبحة شعاراً ومظهراً ورياء الناس ؟ لن ينفعنى ظاهرى إن لم يكن لى وازع من باطنى ... إن هذا الطربوش الذى ليس له زر تدجيل وشعوذة ، إن لم يكن على الناس فعلى نفسى ... لقد خلق الله الدنيا وجعل فيها من كل شيء ، فلنملأها بشراً وخيراً ولنملأها سلاماً وإيناساً ... ليكن كل ما فيها جميلا فقد خلقها الله

جميلة ... لماذا نبدو فى هذا المظهر الأشعث الأغبر لنذل أنفسنا ونؤذيها بالقهر ، وكان خيراً لنا أن نأخذها بالمكرمات وحيد الخصال ... إن السبع لا يزداد بالمقاومة إلا شراسة وشماساً ... وهو باللين والوادعة يسلس وينقاد ويطأطئ لمروضه ... إنما ينبغى أن أذكر دائماً أننى فى نضال مع نفسى ... لن أتركها تنتصر على ... لن أدع زمامها للشيطان ولكنى لن آخذها بالخشونة والقهر مع ذاك ... كلما لقيت امرأة فلن أنظر إليها باشتهاء ولا فسوق ... إن المرأة الجميلة تحفة رائعة من صنع الله فينبغى ألا ندنسها بأنظارنا الشريرة ... والدنيا مثل المرأة فيجب أن نملأها بهجة ... إن اشتهاءنا للمرأة هو مثل اشتهائنا للدنيا . . الأول يدل على نقص فى طبائعنا كلما حاولنا إرواءه من النساء تضاعف ثم تضاعف حتى يجرفنا ... والثانى يدل على طائفة من عيوبنا من أبرزها الجشع والطمع والاقتناء والذل المقيم لمطالب الجسد من طعام وشراب وكساء ... ونحن أمام هذين ننحط إلى مراتب الحيوان الأعجم وننسى فضائلنا ...

وهكذا استطاع الشيخ عبد القوى أن يرسم هذه الصوفية الجديدة ... وهى صوفية معنوية سامية لم يزخرف على نفسه لبلوغها بدثار الشعر وذوائبه ، ولا بهذه العباءة الفضفاضة من الصوف الخشن ، ولا بتلك النعل المخصوفة والسبحة الهائلة

ومرت الأيام ...

وبدا عبد القوى بين الناس فى أنيق البزة رشيق الهندام نظيفاً ، لا تحمل ذقنه إلا شعرات ، وينبعث من عينيه هذا البريق العجيب الجميل الذى لا ينبعث إلا من أعين المؤمنين الصالحين الخاشعين ، الذين لا يستعينون على عبادة الله بقهر أبدانهم وحرمان نفوسهم ، ولكن يستعينون على تقديسه بالاندماج الطاهر فى الدنيا التى برأها وأبدع فيها الكائنات

وذهب مرة إلى قرية قريبة فى عمل له ، فسمع الناس يلهجون بذكر رجل تقى ورع قوام لليل صوام للدهر عزوف عن الدنيا ، تكفيه السمسمة إذا أفطر ، والزبيبة إذا تحلى ، ونغبة الماء إذا ظمئ ... لا يحرك لسانه بهجر ولا يرفع عينيه فيمن يكلمه ... يطيل الركوع ويخشع فى السجود ويسبغ الوضوء ولا يفتر لسانه عن ذكر الله والتسبيح له

وعرف أن الرجل يتخذ صومعة فى منعرج قريب تحت جميزة باسقة عند شاطئ النيل ، فهو يعتزل الناس فيها فلا يلقاهم إلا لماماً

وانتوى الشيخ عبد القوى أن يزور هذا الرجل الصالح عسى أن ينفعه الله بلقائه ، أو أن يقف منه على سر عزلته واستيحاشه ... ولم يشأ أن يصحب أحداً ممن عرضوا أن يذهبوا معه إلى الشيخ الصالح بل شكرهم وآثر أن يذهب إليه وحده ... لأنه يعرف من تجاريبه أن الوحدة هى الطريق إلى البوح ، ثم هو يعلم أن التأمل والاتحاد بالعالم لا يتلفهما إلا فضول الناس والثرثرة التى هى فطرة فى ألسنتهم فما يقلعون عنها إلا قليلا

وخرج الشيخ عبد القوى من مسجد القرية بعد صلاة العشاء ، وتسلل من الناس ثم اتخذ سبيله إلى شاطئ النهر

وكان الليل قد نشر طيلسانه فوق الكائنات ، والقرية توشك أن تهجع إلا من نباح الكلاب ،

وإلا من ذاك الضوء المريض المنبث من دكان البقال الذى يبيع للناس ألف صنف مما يحتاجون

ما أشد رهبة الليل فى مهوج الريف !

لقد كان خرير الماء المتدفق فى النيل يبعث الرعب فى قلب الشيخ عبد القوى حتى لقد فكر فى أن ينثنى إلى بيت مضيفه ، ويقذف إلى الشيطان بزيارة هذا الشيخ الصالح الذى اعتزل العالم تحت تلك الصفصافة البعيدة كأنها فى عالم وحدها ...

وكان الظلام الدامس يرسل عفاريته فى الهواء الرطب فلا تفتأ ترقص فوق أكوام السباخ وشواخص القبور القريبة .. لكن عبد القوى استعاذ بالله وتمتم بآيات من القرآن .. ثم ذهب لا يأبه بتهاويل الليل

واقترب من الجنزة ... فأرهف أذنيه عسى أن يسمع تسبيح الشيخ الصالح المتكف تحة ... بيد أنه لم يسمع شيئاً

وكان القمر قد أخذ يرسل أدخنته الدواكن فى الأفق الشرقى ، فيختلط الضوء النحاسى بفحمة الليل ...

ومن وراء أحراج النخل البعيدة ، ظهر البدر الشاحب فاهتزت الكائنات خاشعة لهذه الآية من آيات الله القدير ... ووقف الشيخ عبد القوى هو أيضاً يفكر فى خالق الأرض والسموات ، ويرمق النهر الجبار الأبدى يجرى كأنه نهر الزمن لا يأبه للثوانى والدقائق والساعات .. بل الأيام والدهور .

وأرسل الكروان المصرى الجميل شدوه فى هدأة الليل الساجى ، فقال الشيخ عبد القوى منه « اللهم مالك الملك . لك الملك وأنت صاحب الملك ... » والفلاحون فى ريف مصر يزعمون أن الكروان يغنى فى سحواتهم بهذه العبارة ، وهم يرددونها بعده لذلك كلما سمعوها ،

وبرز رجل من كهف فجأة ، وأخذ هو أيضاً يقول فى إثر تسبيح الكروان : « اللهم مالك الملك . لك الملك .. وأنت صاحب الملك .. »

وتلفت عبد القوى فاذا حياله رجل أشعث أغبر قد أرسل لحيته حتى تهدلت فوق بطنه ، وانتشرت فوق ظهره ذوائب بيض كالندف ، وهو مع ذلك أسلع عريض المنكبين ، وبيده هراوة كبيرة كأنها هراوة نوح أو عصا موسى

ثم صرخ الرجل صرخة مدوية ، وأخذ يترنح يمنة ويسرة وهو يقول :

« الله — حى — الله — حى — الله — حى »

وكان يقولها فى تلك النغمة الموسيقية المعروفة التى يقع بها المنشدون أذكارهم ، ويرتلون على جرسها أورادهم ...

ووقف عبد القوى مكانه باهتا صامتا مسبوها لهذا الشيخ المتمرد الذى انشق عنه بطن الأرض فبرز بشعره جمال الطبيعة بصوته الأجش وبحته المنكرة ، وإنشاده المختنق ؛ ويكسو بصمتاً حشرجته موسيقى القمر وغناء الكروان

— السلام عليك أيها المؤمن !

— حى ـ الله ـ حى ـ الله !

— اللهم لا حول ولا قوة إلا بك !

— الله ـ حى ـ الله ـ حى !

— الله لا إله إلا هو الحى القيوم ... رويدك يا أخى وترفق بنفسك

— حى حى ... حى حى ... حى حى ...

وخطا عبد القوى نحو الرجل خطوات ثم أخذ يربت على كتفه بيمينه ، والرجل مع ذلك كأنه يتحول الساعة يهطع هنا ثم يهطع هناك

ثم جذبه عبد القوى جذبة قوية فتوقف الرجل ثم حدق فيه ببصره وقال :

— إتق الله ... لماذا تجذبني هكذا ؟

— أعتذر إليك إن أكن قد أسأتك

— ولماذا أبيت إلا أن تقطع علىّ تأملاتي ؟

— أنا ؟ أنا قطعت عليك .. ؟ .. أي تأملات يا صاحبي ؟

— تأملاتي في خلق الله ؟

— لقد كنت تتأرجح وتميد وتهتز ، أهذه تأملات ؟

— أسكت ... لحاك الله أيها الشيطان !

— من ؟ أنا ؟ ... أنا شيطان ؟

— أنت أكبر الأبالسة !

— معاذ الله يا صاحبي ... ليس هكذا يكون خلق الرجل الذي انقطع لعبادة الرحمن

— من أنت ؟ هه !

— أنا . . . أنا عبد من عباد الله سعيت إليك لأزورك

— ما اسمك ؟

— ولماذا تريد أن تعرف اسمي ؟

— أنت عبد القوى ؟

— هل تتنبأ ، أم أنك تطلع الغيب ؟

— لا هذا ولا ذاك ... لكني أعرفك !

— تعرفني ؟

— أجل . . . أنا أعرفك . . . أعرفك من زمن طويل !

— ومتى عرفتني وأين ؟

— قل لي أولا ... لن أجيبك حتى تقول لي :

— أقول لك ماذا ؟

— أين لحيتك الضافية السابغة ؟

— لحيتي ؟

— أجل ... لحيتك التي كانت أطول من هذه !

— حلقتها !

— ولم ؟

— لقد كانت تضايقني !

— والمكحلة ؟

— استغنيت عنها

— والسبحة ؟

— فرطت عقدها !

— ولماذا آثرت هذا الهندام الأنيق ؟ هل صبأت ؟

— معاذ الله أن أفعل ! ألا تخبرني من أنت إذن ؟

— أنا ؟ ... أنا عبد الله !

— عبد الله من ؟

— ولماذا تلحف ؟

— أحب أن أعرفك ...

— لا حول ولا قوة إلا بالله ! سبحان الذي بدلنا يا عبد القوى !

— سبحان من بدلنا كيف ؟

— إذن ... فاعلم أنني ... خِدْن شبابك ورفيق صباك ... صالح !

قال ذلك وكأنما ساخت قدماه فى الأرض ، ثم نشج نشيجاً مؤلماً ... واستعبرت عيناه ... ثم استخرط فى البكاء ...

— ماذا ؟ هل تبكى ؟ ... ويك ... ؟ أأنت حقاً صالح ؟

— ... ! ...

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

— أجل يا عبد القوى ... أنا صالح ياصديقى ! وهذا حالى !

— مسكين أيها الرفيق !

— أين أنت أيها الأخ طيلة هذه السنين ؟ ليتنى ... ولكن ...

— ليتك ماذا ؟ ... لماذا قطعت كلامك ... قل ...

— لا أجسر !

— لا تجسر ؟ ولماذا يا أخى ؟

— أخشى أن تنخسف الأرض تحتى !

— اترك يا صديقى هذه الهواجس التى تستعر فى قلبك فالله ولينا ...

— ليتنى يا أخى سرت فى الحياة سيرتك ...

— أية سيرة يا صالح ؟ ...

— سيرتك الأولى التى كنت أعيبها عليك !

— سيرتى الأولى ؟

— أجل ... سيرتك الأولى التى كنت تستعين عليها بلحيتك وسبحتك ومكحلتك وهراوتك وصوفك الجافى الخشن ونعلك المخصوفة الغليظة !

— أنت تحيرنى يا صالح ...

— لا ... لست أحيرك ... أنظر يا أخى ماذا أصابنى !

— إن كنت تشتهى أن تكون مثلى فى الأيام الخوالى ، فانك الآن أشد رهبانية وأكثر تقشفاً ... فم تشكو ؟

— أشكو أننى لم أكن كذلك قبل أن أعترض عليك !

— لقد كنت تعيب هذا المظهر على ، فما الذى جعلك تؤثره على ما أحل لنا الله من زينة هذه الحياة الدنيا ؟

— أوه ! ... لا أستطيع ... لا أستطيع !

— لا تستطيع ماذا ؟

— لا أستطيع أن أحرك بذلك لسانى !

— هو سر رهيب إذن ؟

— رهيب جداً يا صديقى !

— مسكين !

— مسكين جداً

— لكنك تعذب نفسك بالكتمان أضعاف ما تعذبها بالبوح ... تكلم ...

— هذا حق ... لكننى لا أستطيع ...

— يخيل لى أنك عصيت الله معصية كبيرة !

— أوه ...

— ولذلك فأنت تخجل من الكلام !

— كل ما تقول ...

— صحيح ! أليس كذلك ؟

— أجل يا صديقى !

— لكنى أعدك أن أكتم ما تقول ، وأن

أعينك على بلواك إذا استطعت !

— أتقسم لى ؟

— أقسم لك

— إذن ... لقد قتلت ... ؟

— قتلت ؟

— أجل يا عبد القوى ! أجل يا صديق ! ؟

— قتلت من ؟

— ولدى ... ؟ ... ولدى ...

— ولماذا أيها الرجل تقتل ولدك !

— ألا تعرف لماذا ؟ لقد أتيت به من سفاح يا أخى !

— آه ... جريمة تلد جريمة ...

— لقد خدعتنى نظرياتى فى الحياة يا أخى !

— كلا ... لقد كنت أنت السبب فى اعتناق هذه الصوفية الجديدة المهذبة يوم عنيت بالرد عليك. لقد كنت على حق يا صالح ، ولم تكن قط على ضلال ولكن هلم لخدثنى كيف سقطت هذا السقوط !

— أوه ؟ هذا حديث شاق يا أخى !

— ليس شاقاً كما تتصور ... أوه ... لقد تعبت على ما يبدو لى... هلم إلى كهفك السحيق نستريح به

وكان القمر قد أطل وارتفع ، وأرسل أضواءه ملء الكون ... وكانت البرايا كلها قد أرهفت آذانها تصغى للحديث وتتلقفه ... أليست هذه مأساة الجميع ؟ أليس بعيب الانسان أمراً ثم يتردى فيما هو شر منه ؟ !

— عرفتها يا أخى ريانة الاهاب موفورة الشباب . . . لقد كانت فينانة كالزهرة تعبق بالحب فى فؤاد كل من نظر .. حيثما رنت إلى قلبت كيانى .. جعلتنى شيئاً آخر ... لقد ضاعت كل نظرياتى التى كنت أبدهك بها فلا تستطيع لها رداً . . لقد كنت أقول لك ، لم لا نقرن نظرتنا إلى المرأة بالخير ؟ لم لا ننظر إليها فنمجد الله ونقدس أسماءه ؟ لماذا نجعل من جمالها شراً مستطيراً نتجنبه ونتوقاه ؟ لم تستعينون يا معاشر المتصوفة على إذلال أنفسكم بارسال شعوركم وإعفاء لحاكم والصوف الخشن والنعل المخصوفة ؟ إنكم تشوهون خلق الله الذى شاء أن يجعله جميلا مونقاً وتأبون أنتم إلا أن تجعلوه بشعاً كريهاً ... هكذا كنت أقول لك .. وهكذا كنت أنعى عليك ! واأسفاه ! ليتنى كنت مثلكم يا عبد القوى ... ليتنى أرسلت لحيتى وأعفيت شعرى وأذللت نفسى بما أذللتم به نفوسكم .. لا .. لقد ذهبت أدل بشبابى وأتيه .. وأتشدق بنظريات فارغة ما جعل الله لها سنداً من الحق ، وإن جعل لها رواء وإن جعل فيها طلاوة !

لم أستطع يا أخى أن أصبر على حبها الذى غزا قلبى وعصف بنفسى ، وزلزل وجدانى . . . إذن ، لقد غازلتها . . . ولم تستمص طويلا على . . . فقد صدتها فى شراك محكمة من كلمات الغزل المسول وآهات الهوى المشتعلة ...

وسهرنا الليالى ...

وتبادلنا القبل ...

ثم .. سقطنا !

وضقت بها وبنفسى حينما جاءها المخاض ... ماذا أصنع ؟! عاونتها ... لكن ، لأنجو من جريمتى ... لأفلت من الجريرة ...

ثم فررنا إلى جهة نائية . وفى الطريق . وتحت جنح الليل ، جلسنا تحت صفصافة حيث وضعت !

— يالله ! ... ربى ؟ لقد وسعت رحمتك كل شيء ... مسكين يابنى ؟ ... ليتنى أبقيت عليك واعترفت بك وذهبت فداك ... لقد خفت يابنى أن تفضحنى حينما صحت أول صيحتك فى هذه الدنيا المنكودة فلم أبال أن أقبض على رقبتك وأخنقك ! لماذا يا ربى لم أمت قبل أن أفعل هذا ؟!

— مسكين ياصالح . والفتاة ؟ ماذا صنعت ؟ !

— لقد كانت تبكى على ولدها

— أهذا كل شيء ..؟

— لا إنها طلبت إلى أن أقتلها

— هل فعلت ؟

— أجل ياصديق

— وواريت سوء تيهما ؟

— بل ألقيتهما فى ...

— أين !!

— فى هذا النهر ... آه ... آه ... إنه ينظر إلى ... إحمى يا عبد القوى إحمى ياصديق ... إن النيل يفغر فاه ليبتلعنى ! إنى أسمع صياح ابنى وآلام حبيبتى ...

— مسكين ! ومن يدرى !

— ومن يدرى ماذا يا أخى ؟!

— لا شيء ... ولكن ... خبرنى يا صالح ... ماذا ترجو بعد ذلك من الله ؟

— أرجو مغفرته يا أخى ! إنى أصوم الدهر وأقوم الليل ولا يفتر لسانى عن ذكر الله !

— وهل ذلك يكفى لو فعلته ألف سنة ؟

— وماذا أصنع ؟ لقد عجزت عن حرب نفسى وجاهدتها قبل أن أرتكب جرائمى ، ولو استطعت ما حصل منها شيء مما يروعنى الآن

— إن كنت تطمع فى مغفرة الله

— فماذا أصنع يا أخى

— فلا يكفى أن تحيا حياتك هذه !

— وكيف ؟

— يجب أن يقع عليك القصاص الذى أمر الله أن يقع على أمثالك !

— أوه ! لقد فكرت فى ذلك ... !

— وما الذى عاقك أن تفعل ؟

— خفت أن أقتل نفسى !

— لو قتلت نفسك لكانت جريمة رابعة !

— إذن ...

— تسلم نفسك لولى الأمر !!

درينى خشبة

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهي قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشاً